

A stack of six old, leather-bound books. The top book is open, showing its yellowed, aged pages. The spines of the books are decorated with various patterns, including blind-tooled designs and gold leaf. The books are set against a dark, textured background that looks like a wall or a bookshelf. The lighting is dramatic, coming from the side, highlighting the textures of the leather and the edges of the pages.

المسحوق

أَمِيرُ عَجَرَ اللَّهِ بْنِ الشَّيْخِ مُقْبِلِ بْنِ قَالِي الْوَلَدِيِّ

حَفِظَهَا اللهُ تَعَالَى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

□ أسئلة وأجوبة الدرس (١٢) □

١. ما هو العام الذي توفي فيه أبو طالب وخديجة؟

تاريخ وفاة أبي طالب، وأنه توفي بعد خروجهم من الشعب بثمانية أشهر وواحد وعشرين يوماً، وأن وفاة أم المؤمنين خديجة بعده بثلاثة أيام. حسب ما ذكر العراقي في «الألفية في السيرة».

٢. ما هو عام الحزن؟

اشتهر تسمية العام العاشر بعام الحزن؛ لحزن النبي ﷺ على وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة.

٣. هل ثبت عن النبي ﷺ تسمية هذا العام بعام الحزن؟

لم يصح، وإنما اشتهر هذا عند بعض أهل السير، ولم يثبت تسميته عن النبي ﷺ، وإنما ذكر بغير إسناد.

٤. متى خرج النبي ﷺ إلى الطائف؟

السنة العاشرة.

٥. ما السبب في خروج النبي ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف؟

لما نُقضت الصحيفة التي كان تمّ الإجماع على توثيقها من بني عبد شمس وبني نوفل سنة سبع، وكان نقضها في سنة عشر من البعثة النبوية، توالى المصائب، فماتت خديجة بنت خويلد ﷺ، التي كانت مناصرة ومؤانسة ومعينة للنبي ﷺ، ومات أبو طالب عم النبي

ﷺ، الذي كان يغضب له ويحوطه، فلما اشتد أذى قريش ذهب إلى الطائف؛ لكي يجد من يؤويه، ويعينه على تبليغ الرسالة.

٦. كم المدة التي بقيها النبي ﷺ في الطائف؟

عشرة أيام حسب ما ذكر ابن سعد، والله أعلم.

٧. لما عاد النبي ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الطائف إلى مكة، هل احتاج إلى من يكون في جواره؛ ليأمن على نفسه من الأذى؟
نعم، دخل مكة في جوار المطعم بن عدي.

٨. ما هو الحديث الذي أحب النبي ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيه أن يكافئ المطعم بن عدي؟

روى البخاري (٣١٣٩) عَنْ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَذَرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ السَّنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ».

٩. ومن يعني بالتنتي؟

الأسرى من كفار قريش الذين كانوا بأيدي المسلمين.

١٠. مَنْ مِنَ الصَّحَابَةِ يَلْقَبُ بِذِي النُّورَيْنِ؟

عثمان بن عفان؛ لأنه تزوج ببتي النبي ﷺ.

١١. ومن من الصحابة ورد أنه يلقب بذي النور؟

الطفيل بن عمرو الدوسي.

١٢. وما السبب في تلقيبه بذلك؟

ما جاء أنه دَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ آيَةً، فَجَعَلَ اللَّهُ فِي وَجْهِهِ نُورًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَشَى أَنْ يَقُولُوا: هَذَا مُثَلَّةٌ، فدَعَا لَهُ، فَصَارَ النُّورُ فِي سَوْطِهِ، فَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِذِي النُّورِ. وسنده ضعيف جدًا؛ فيه هشام بن محمد بن السائب الكلبي، ومع ذلك اشتهر أن الملقب بذي النور هو الطفيل بن عمرو الدوسي.

١٣. يمر في الإسناد هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأبوه فما حالهما؟ متروكان.

١٤. ماذا قال الطفيل للنبي ﷺ في شأن الخروج من مكة لما رأى أذى قريش؟

أراد الطفيل بن عمرو الدوسي إيواء النبي ﷺ وهو بمكة، فعرض عليه الخروج إلى دوس، وقال: إن هناك حصنًا لدوس، ولكن أراد الله أن يدّخر هذا للأَنْصَار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (١٣)

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ رحمته الله:

فَصْلٌ

[الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ وَعَرَضُ النَّبِيِّ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ] ^(١)

(١) إيراد الحافظ ابن كثير هنا للإِسْرَاءِ والمِعْرَاجِ برسول الله ﷺ يدل أنه يرى أن الإِسْرَاءِ والمِعْرَاجِ بعد رجوع النبي ﷺ من الطائف إلى مكة سنة عشر. وهذه طريقة ابن إسحاق، فقد ذكَّرها في هَذَا الْمَوْطِنِ بَعْدَ الْبُعْثَةِ بِنَحْوِ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ، كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠٨/٣).

وجزم جمع بأنه كان قبل الهجرة بسنة، وجرى عليه الإمام النووي، وبالع ابن حزم فنقل فيه الإجماع. وقال القاضي: قبل الهجرة بخمس سنين.. كما في «سبل الهدى والرشاد» (٦٥/٣). والإِسْرَاءِ والمِعْرَاجِ من أعظم الكرامات والفضائل للنبي ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حتى إنه عُدَّ هذا أفضل ليلة بالنسبة للنبي ﷺ؛ لما كان له من المكانة والكرامة والنعم العظيمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في «مجموع الفتاوى» (٢٨٦/٢٥) - وَسُئِلَ: عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَلَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ - فَأَجَابَ: بِأَنَّ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ أَفْضَلُ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ أَفْضَلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأُمَّةِ، فَحَظُّ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ لَيْلَةُ الْمِعْرَاجِ مِنْهَا أَكْمَلُ مِنْ حَظِّهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَحَظُّ الْأُمَّةِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَكْمَلُ مِنْ حَظِّهِمْ مِنْ لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ، وَإِنْ

كَانَ هُمْ فِيهَا أَعْظَمُ حَظًّا، لَكِنَّ الْفَضْلَ وَالشَّرَفَ وَالرُّتْبَةَ الْعُلْيَا إِنَّمَا حَصَلَتْ فِيهَا لِمَنْ أُسْرِيَ بِهِ، ﷺ. ونقله ابن القيم عن شيخه شيخ الإسلام في «بدائع الفوائد» (١٦٢/٣)، وأيده. وهذه المسألة في المفاضلة بين ليلة الإسراء وليلة القدر، وهذا تفصيل حسن؛ الأدلة تقتضيه؛ ولهذا يُشرع لنا الاجتهاد في ليلة القدر وإحياء ليلتها، ولا يُشرع لنا ذلك في ليلة الإسراء، حتى النبي ﷺ من حيث العبادة لم يُنقل أنه يجتهد في العبادة في هذه الليلة.

وأيضاً لا ندرى ليلة الإسراء في أي ليلة ولا في أي شهر؟

قال ابن القيم ﷺ في «زاد المعاد» (٥٨/١) وهو يتكلم عن المفاضلة بين ليلة الإسراء وليلة القدر عن شيخه شيخ الإسلام: هَذَا إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ تُعْرَفُ عَيْنُهَا، فَكَيْفَ وَلَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ مَعْلُومٌ لَا عَلَى شَهْرِهَا وَلَا عَلَى عَشْرِهَا وَلَا عَلَى عَيْنِهَا، بَلِ النُّقُولُ فِي ذَلِكَ مُنْقَطَعَةٌ مُخْتَلِفَةٌ لَيْسَ فِيهَا مَا يَقْطَعُ بِهِ، وَلَا شُرْعٌ لِلْمُسْلِمِينَ تَخْصِيصُ اللَّيْلَةِ الَّتِي يُظَنُّ أَنَّهَا لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ بِقِيَامٍ وَلَا غَيْرِهِ.

وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠٩/٣): فَعَلَى قَوْلِ السُّدِّيِّ يَكُونُ الْإِسْرَاءُ فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَعَلَى قَوْلِ الزُّهْرِيِّ وَعُرْوَةَ يَكُونُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفِيلِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَفِيهِ بُعِثَ، وَفِيهِ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفِيهِ هَاجَرَ، وَفِيهِ مَاتَ. فِيهِ انْقِطَاعٌ.

وَقَدْ اخْتَارَهُ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سُورٍ الْمُقْدِسِيُّ فِي «سِيرَتِهِ»، وَقَدْ أوردَ حَدِيثًا لَا يَصِحُّ سَنَدُهُ، ذَكَرَنَاهُ فِي فَصَائِلِ شَهْرِ رَجَبٍ، أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ لَيْلَةَ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ، وَهِيَ لَيْلَةُ الرَّغَائِبِ الَّتِي أُحْدِثَتْ فِيهَا الصَّلَاةُ الْمَشْهُورَةُ، وَلَا أَصْلَ لِذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

قوله: (فِيهِ انْقِطَاعٌ) سعيد بن مينا لم يسمع من جابر وابن عباس.

وقال ابن رجب في «لطائف المعارف» (١٣٠): وقد روي أنه في شهر رجب حوادثٌ عظيمة، ولم يصحَّ شيءٌ من ذلك...، ورُوي بإسناد لا يصح عن القاسم بن محمد: أن الإسراء بالنبي ﷺ كان في سابع وعشرين من رجب، وأنكر ذلك إبراهيم الحربي وغيره. اهـ.

وذكر هذا الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في كتابه «تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب» وقال -ناقلًا عن بعضهم -: وذكر بعضُ القصَّاص أن الإسراء كان في رجب. قال: وذلك كذب. وينظر: «أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب».

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٨٣/١): وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج، لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا غيره، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث، والله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها، ولو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصصوها بشيء من العبادات، ولم يجز لهم أن يحتفلوا بها؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا بها، ولم يخصصوها بشيء، ولو كان الاحتفال بها أمراً مشروعاً لبينه الرسول ﷺ للأمة، إما بالقول وإما بالفعل، ولو وقع شيء من ذلك لعرف واشتهر، ولنقله الصحابة رضي الله عنهم إلينا، فقد نقلوا عن نبيهم ﷺ كل شيء تحتاجه الأمة، ولم يفرطوا في شيء من الدين، بل هم السابقون إلى كل خير، فلو كان الاحتفال بهذه الليلة مشروعاً لكانوا أسبق الناس إليه، والنبي ﷺ هو أنصح الناس للناس،

وقد بلغ الرسل غاية البلاغ، وأدى الأمانة، فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الله لم يغفله النبي ﷺ ولم يكتمه، فلما لم يقع شيء من ذلك عُلِمَ أن الاحتفال بها، وتعظيمها ليسا من الإسلام في شيء، وقد أكمل الله لهذه الأمة دينها، وأتم عليها النعمة، وأنكر على من شرع في الدين ما لم يأذن به الله، قال ﷺ في كتابه المبين من سورة المائدة:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال ﷺ في سورة الشورى: ﴿أَمْرٌ لَهُمْ شُرَكَؤُا شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ

الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ

لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١]. اهـ المراد.

وكان يذكر هذا والدي الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، وأن الاحتفال بليلة الإسراء، والاحتفال بأول يوم من شهر رجب لا يثبت، فهو بدعة؛ لأن النبي ﷺ يقول: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقال والدي الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في «آداب وأحكام العيد»: اقرأوا: «تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب»، لم يثبت أنه أُسري بالنبي ﷺ ليلة سبع وعشرين من رجب. اهـ.

والسكوت عن هذا يدل أننا لا نحتاج إلى تعيين الليلة والشهر، وكما قال شيخ الإسلام في «مقدمة في أصول التفسير» (٢٢) - عن الأحاديث الإسرائيلية -: فالمقصود أن المنقولات التي يحتاج إليها في الدين قد نصب الله الأدلة على بيان ما فيها من صحيح وغيره، ومعلوم

أن المنقول في التفسير أكثره كالمنقول في المغازي والملاحم؛ ولهذا قال الإمام أحمد: ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم، والمغازي. ويروى: ليس لها أصل، أي: إسناد؛ لأن الغالب عليها المراسيل..

أيضاً فيه سد للذريعة؛ فلو ذُكرتْ قد يبالغ بعضهم في الاجتهاد فيها.

ولم يختلف العلماء أن الإسراء كان بعد البعثة.

قال ابن القيم رحمته الله في «زاد المعاد» (١/٩٧): وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ الْمُبْعَثِ بِالِاتِّفَاقِ. اهـ.

أما ما جاء عند البخاري (٧٥١٧) في رواية شريك بن عبدالله بن أبي نمر عن أنس بن مالك يَقُولُ: لَيْلَةَ أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..

فهذا معدود في أغلاط شريك، قال ابن القيم في «زاد المعاد» (١/٩٧): وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ شَرِيكٍ، أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، فَهَذَا مِمَّا عُدَّ مِنْ أَغْلَاطِ شَرِيكِ الثَّمَانِيَةِ وَسُوءِ حِفْظِهِ لِحَدِيثِ الْإِسْرَاءِ.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ما لاقى من الشدة، والأذى، وأنواع المتاعب من الكفار، ومن موت عمه أبي طالب، ثم موت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وتكذيب أهل الطائف له وغير ذلك، أكرمه الله ﷺ بالإسراء والمعراج.

وهذه سنة الله سبحانه وحكمته أنه إذا اشتدت الأمور يأتي بعدها الفرج ويأتي الرخاء. ومن ذلك قصة نبي الله يوسف عليه السلام ابتلي ابتلاء عظيمًا من كيد إخوته له بأنواع المكائد، ثم ابتلي بامرأة العزيز، وبالنسوة الأخريات، فدُعِيَ إلى نفسه، واتهم في عرضه، ثم ابتلي بالسجن

أكثر من ثلاث سنين ظلمًا وعدوانًا، يقول الله ﷻ: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]، والبضع: ما بين الثلاث إلى التسع.

ثم بعد ذلك جاء الفرج، وارتفعت مكانة يوسف ﷻ، وبعد ذلك جمع الله بينه وبين أبيه وإخوته بعد فراقٍ طويل، ولله سبحانه الحكمة البالغة، وحصل ليوسف ﷻ الرخاء والرفعة والمنزلة.

وهكذا أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ابتليت باتهامها في عرضها، وكان في هذا كربةً وشدة عظيمة، حتى إن أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، لَا يَرِقَا لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمٍ، حَتَّى إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي.

واستمر النبي ﷺ شهرًا لا يُوحى إليه، وهذا من الابتلاء تأخر نزول الوحي. ثم أنزل الله في شأنها آيات، وجاءت البشارة ونزل الفرج، تقول أم المؤمنين في سياق قصة حادثة الإفك: وَلَآنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبْرِئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَمَ مَجْلِسُهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ أَحْمَدِي اللَّهُ، فَقَدْ بَرَّأَكَ اللَّهُ».

وهنا النبي ﷺ بعد ابتلاءات شديدة، أكرمه الله ﷻ بهذه النعم العظيمة، النعمة تلو النعمة. ومن هذه الكرامات الإسراء به إلى بيت المقدس، ومن بيت المقدس عرج به إلى السماء.

وقبل الإسراء نزل جبريل عليه السلام وشق صدر النبي ﷺ، كما روى البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فِرَجَ عَنْ سَقْفِ

بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَتَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا الْحَدِيث.

(فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي) أي: فتح منه فتحة من سقف البيت، ما دخل الملك من الباب، ولكنه فتح فتحة من سقف البيت.

وروى البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، وَذَكَرَ يَعْنِي: رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ - فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَأَقِ الْبَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا» الْحَدِيث.

قال النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «شرح صحيح مسلم» (٢/٢٢٦): (إِلَى مَرَأَقِ الْبَطْنِ) هُوَ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ الْقَافِ، وَهُوَ مَا سَفَلَ مِنَ الْبَطْنِ وَرَقَّ مِنْ جِلْدِهِ.

قال ابن حبان في «صحيحه» (١/٢٤٤): فَكَانَ ذَلِكَ لَهُ فَضِيلَةً فَضَّلَ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ، وَأَنَّهُ مِنْ مُعْجَزَاتِ النُّبُوَّةِ؛ إِذِ الْبَشَرُ إِذَا شُقَّ عَنْ مَوْضِعِ الْقَلْبِ مِنْهُمْ ثُمَّ اسْتُخْرِجَ قُلُوبُهُمْ مَاتُوا.

وهذه مرة أخرى غير المرة السابقة في أوائل «الفصول» التي ثبتت في «صحيح مسلم» (١٦٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَّامِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشُقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتُخْرِجَ الْقَلْبُ، فَاسْتُخْرِجَ مِنْهُ عِلْقَةٌ، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغُلَّامُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي: ظَهْرَهُ -، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْخَيْطِ فِي صَدْرِهِ.

وَأُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِجَسَدِهِ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلِي الصَّحَابَةِ وَالْعُلَمَاءِ (٢)

فهاتان حالتان:

الأولى: عندما كان النبي ﷺ صغيراً، وحسب ما ذكر أنه كان أربع سنين.

والحالة الثانية: بعد البعثة قبل الإسراء بالنبي ﷺ.

فالنبي ﷺ شقَّ صدره مرتين، هذا الذي ثبت، وما عداه حسب ما مرَّ بي لا يصح.

(٢) أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِصُحْبَةِ جَبْرِيلَ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَيْلاً، كَمَا قَالَ

سُبْحَانَهُ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

[الإسراء: ١].

وكان الإسراء بروحه وجسده، وفي المسألة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أُسْرِيَ بروحه وجسده.

الثاني: أنه أُسْرِيَ بروحه فقط.

الثالث: أن هذا كان رؤيا منامية، وقد عُدَّ هذا من أغلاط شريك بن عبدالله بن أبي نمر.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» رقم (٧٥١٧) في سياق ذكر الأخطاء التي أخطأ فيها

شريك، قال: الثالث: كونها مناماً. اهـ.

والقول الأول القول الصحيح، كما يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى هنا.

وقد ذكر هذه المسألة بأدلتها الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤٣/٥)، وقال:

ثُمَّ اخْتَلَفَ النَّاسُ: هَلْ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِيَدِنِهِ ﷺ وَرُوحِهِ، أَوْ بِرُوحِهِ فَقَطْ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، فَأَلَاكَثَرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ أُسْرِيَ بِيَدِنِهِ وَرُوحِهِ يَقْظَةً لَا مَنَامًا، وَلَا يَنْكُرُونَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَى قَبْلَ ذَلِكَ مَنَامًا ثُمَّ رَأَاهُ بَعْدَ يَقْظَةٍ؛ لَأَنَّهُ كَانَ ﷺ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصَّبْحِ، والدليل على هذا:

قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]. فالتسييح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كَانَ مَنَامًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَبِيرُ شَيْءٍ، وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعْظَمًا. وَلَمَّا بَادَرَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ إِلَى تَكْذِيبِهِ. ولما ارتدت جماعةٌ مِّنْ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْعَبْدَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنِ أَرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةُ أُسْرِي بِهِ، وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ هِيَ شَجَرَةُ الزُّقُومِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (٧) [النجم: ١٧]، وَالْبَصَرُ مِنْ آلَاتِ الذَّاتِ لَا الرُّوحِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ بَيَضَاءُ بَرَّاقَةٌ لَهَا لَمَعَانٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِلْبَدَنِ لَا لِلرُّوحِ؛ لِأَنَّهُ لَا تَحْتَاجُ فِي حَرَكَتِهَا إِلَى مَرْكَبٍ تَرَكَّبَ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ^(٤)، رَاكِبًا الْبَرَاقَ فِي صُحْبَةِ جِبْرِيلَ عليه السلام^(٥).

وهكذا من قال: كان بروحه فقط خلاف ظاهر الأدلة المتقدمة.

والصحيح أنه أسري بروحه وجسده، وهذا قول أكثر أهل العلم.

(٤) قوله: (إلى بيت المقدس) كما في آية الإسراء، نؤمن بأنه انتقل من مكان إلى مكان.

وبيت المقدس القبلة الأولى للمسلمين، ثم نُسِخَتْ بالاستقبال إلى الكعبة، ومن استقبل بيت المقدس متعمداً في صلاته فإنه يكون كافراً؛ لأن هذا نُسِخَ.

(٥) رواه مسلم (١٦٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيَْتُ بِالْبَرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُتَهَيِّ طَرَفِهِ قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ الْحَدِيثَ. سُبْحَانَ اللَّهِ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ؛ لِيَحْمِلَ هَذَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ وَجِبْرِيلَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ.

(يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُتَهَيِّ طَرَفِهِ): (الحافر) من الدَّوَابِّ مَا يُقَابِلُ الْقَدَمَ مِنَ الْإِنْسَانِ كَمَا فِي «المُعْجَم الوسيط» (١/١٨٤).

(عِنْدَ مُتَهَيِّ طَرَفِهِ) موضع أقصى طرفه، أي: مدَّ بصره، يعني: مسافة ما بين الخطوة والخطوة مد البصر.

وفي حديث أنس: وصف البراق الذي حُمِلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ بِأَنَّهُ: دَابَّةٌ، أَبْيَضٌ، طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُتَهَيِّ طَرَفِهِ،

آية من آيات الله، ومعجزة من معجزات النبي ﷺ، وخلق عظيم خارق،
الله ﷻ يقول: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، والإبل أقل
بكثير من حيث السرعة والقوة!

وروى الإمام الترمذي رحمه الله (٣١٣١) عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُنِيَ بِالْبُرَاقِ
لَيْلَةً أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَمًا مُسْرَجًا، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ: «أَبْمَحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟! فَمَا
رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ، قَالَ: فَارْفَضَ عَرَقًا»، وقد توبع معمر، تابعه سعيد بن أبي
عروبة عن قتادة، به. أخرجه الضياء المقدسي في «المختارة» (٢٤٠٦). قال الحافظ ابن حجر
رحمته الله في «فتح الباري» (٣٨٨٧): فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْبُرَاقَ كَانَ مُعَدًّا لِرُكُوبِ الْأَنْبِيَاءِ، خِلَافًا
لِمَنْ نَفَى ذَلِكَ كَابْنِ دَحْيَةَ. ثم قال الحافظ: وَيُؤَيِّدُهُ ظَاهِرُ قَوْلِهِ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحُلُقَةِ الَّتِي يَرْتَبُ بِه
الْأَنْبِيَاءُ». اهـ.

وهو يدل أيضًا أن من أوصاف البراق: أنه موضوعٌ عليه لجام وسرج، وهذا يدل أنه كان
مهيئًا لركوب الأنبياء عليه.

وهذا تسخير من رب العالمين؛ فالبراق غاية في السرعة، ويركبُ عليه، ويربطه بحلقة
المسجد، ودخل فصلى ركعتين في بيت المقدس، ثم خرج من بيت المقدس، وجاءه جبريل
بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَارَ اللَّبَنَ، فَأَيَّدَهُ، وَقَالَ: اخْتَرْتُ الْفِطْرَةَ. وهذا رواه مسلم
(١٦٢) عَنْ أَنَسٍ الْحَدِيثِ وَفِيهِ: قَالَ «ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ
فَجَاءَنِي جَبْرِيلُ ﷺ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جَبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ
الْفِطْرَةَ».

وروى البخاري (٥٥٧٦)، ومُسْلِمٌ (١٦٨) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: فَقَالَ جِبْرِيلُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَذَاكَ لِلْفِطْرَةِ، وَلَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ».

قال النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «شرح صحيح مسلم» (١/١٤٥): فَسَرُّوا الْفِطْرَةَ هُنَا بِالْإِسْلَامِ وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَمَعْنَاهُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ-: اخْتَرْتَ عِلَامَةَ الْإِسْلَامِ وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَجُعِلَ اللَّبَنُ عِلَامَةً؛ لِكَوْنِهِ سَهْلًا طَيِّبًا طَاهِرًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ، سَلِيمٌ الْعَاقِبَةُ، وَأَمَّا الْخَمْرُ، فَإِنَّهَا أَمُّ الْخَبَائِثِ، وَجَالِبَةٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الشَّرِّ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. اهـ.

وهذا يُستفاد منه: حَمْدُ اللَّهِ لِمَنْ وَفَّقَ لِحُسْنِ التَّصَرُّفِ، وَمَنْ وَفَّقَ لِلْعَمَلِ بِالسَّنَةِ.

وفيه دليل أن الإسراء والمعراج كان بصحبة الملك جبريل، أفضل الملائكة، وهو الملقب بالروح الأمين، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

تنبيه: قد نفى حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت المقدس.

كما أخرج الترمذي (٣١٤٧) من طريق عاصم بن أبي النجود، عن زُرَّ بن حُبَيْشٍ، قَالَ: قُلْتُ لِحَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: أَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَنْتَ تَقُولُ ذَاكَ يَا أَصْلَحُ، بِمَ تَقُولُ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: بِالْقُرْآنِ. بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْقُرْآنُ، فَقَالَ حَذِيفَةُ: مَنْ احْتَجَّ بِالْقُرْآنِ فَقَدْ أَفْلَحَ. فَقَالَ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، قَالَ: أَقْرَأَهُ صَلَّى فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: «لَوْ صَلَّى فِيهِ لَكُتِبَ عَلَيْكُمْ فِيهِ الصَّلَاةُ كَمَا كُتِبَتْ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» قَالَ حَذِيفَةُ: «قَدْ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِدَايَةِ طَوِيلَةِ الظَّهْرِ، مَمْدُودَةٍ، هَكَذَا خَطُوهُ مَدُّ بَصَرِهِ، فَمَا زَايَلَا ظَهَرَ الْبَرَقِ

حَتَّى رَأَى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَوَعَدَ الْآخِرَةَ أَجْمَعَ، ثُمَّ رَجَعَا عَوْدَهُمَا عَلَى بَدْئِهِمَا»، قَالَ: وَيَتَحَدَّثُونَ أَنَّهُ رَبَطَهُ، لَمْ؟ لِيَفَرَّ مِنْهُ، وَإِنَّمَا سَخَّرَهُ لَهُ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

وهذا حديث حسن؛ من أجل عاصم بن أبي النجود فهو صدوق يهم.

وقد حسنه الوالد رحمه الله في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» رقم (٣٠١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٥/٢١): وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَا أَثْبَتَهُ غَيْرُهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ رَبَطِ الدَّابَّةِ بِالْحُلْقَةِ وَمِنْ الصَّلَاةِ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، مِمَّا سَبَقَ وَمَا سَيَأْتِي مُقَدَّمٌ عَلَى قَوْلِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

وقوله: (فَمَا زَايَلَا ظَهَرَ الْبَرَاقِ) أَي: مَا فَارَقَ النَّبِيُّ وَجَبْرِيْلُ ظَهَرُهُ. كما في «تحفة الأحوذى» (٨/٤٦٣).

حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينفي أن النَّبِيَّ ﷺ صلى في بيت المقدس، وتناقش هو والتابعي زر بن حبیش - مخضرم كبير -، ويقول: اذكر لي دليلاً، فذكر له زر الآية، فأنكر عليه حذيفة بأن الآية ليس فيها دلالة على ذلك.

لكن عندنا من السنة كما سبقت الرواية أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ»، فإذن هنا نأخذ بقاعدة: المثبت مقدم على النافي، ومن علم حجة على من لم يعلم. فهذه قاعدة فيما ينقله الرواة، هذا ينفي وهذا يثبت بأي قول نأخذ؟ المثبت - الذي أثبت - مقدم على النافي.

كما أن ظاهر كلام حذيفة نفي ربط البراق، قال الحافظ في «فتح الباري» (٧/٢٠٨): أَنْكَرَهُ حُذَيْفَةُ... قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: الْمُثَبَّتُ مُقَدَّمٌ عَلَى النَّافِي، يَعْنِي: مَنْ أَثْبَتَ رَبَطَ الْبَرَاقِ وَالصَّلَاةَ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ مَعَهُ زِيَادَةٌ عِلْمٍ عَلَى مَنْ نَفَى ذَلِكَ، فَهُوَ أَوْلَى بِالْقَبُولِ. اهـ.

فَنَزَلَ ثُمَّ، وَأَمَّ بِالْأَنْبِيَاءِ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ فَصَلَّى بِهِمْ ^(٦).

ثم ظاهر ما جاء عن حذيفة أنه عُرِجَ بالنبى ﷺ على البراق وليس على مرقاة، وسيأتي الكلام على هذه المسألة إن شاء الله.

(٦) (ثُمَّ) أي: هناك. وهذا خلاف ما ذكره ﷺ في تفسير سورة الإسراء أنه أمَّ بالأنبياء إثر العروج من السماء إلى بيت المقدس، قال: **وَالْحَقُّ أَنَّهُ ﷺ أُسْرِيَ بِهِ يَقْظَةً لَا مَنَامًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدِّسِ رَاكِبًا الْبُرَاقَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، رَبَطَ الدَّابَّةَ عِنْدَ الْبَابِ وَدَخَلَهُ، فَصَلَّى فِي قِبْلَتِهِ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَتَى بِالْمَعْرَاجِ - وَهُوَ كَالسُّلَمِ ذُو دَرَجٍ يُرْقَى فِيهَا -، فَصَعِدَ فِيهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ، ثُمَّ قَالَ: فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ هُنَالِكَ الصَّلَوَاتِ خَمْسِينَ، ثُمَّ خَفَّفَهَا إِلَى خَمْسٍ؛ رَحْمَةً مِنْهُ وَلُطْفًا بِعِبَادِهِ، وَفِي هَذَا اعْتِنَاءٌ عَظِيمٌ بِشَرَفِ الصَّلَاةِ وَعَظَمَتِهَا. ثُمَّ هَبَطَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدِّسِ، وَهَبَطَ مَعَهُ الْأَنْبِيَاءُ، فَصَلَّى بِهِمْ فِيهِ لَمَّا حَانَتِ الصَّلَاةُ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهَا الصُّبْحُ مِنْ يَوْمٍ مَيِّدٍ.**

قال: **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَمَّهُمْ فِي السَّمَاءِ، وَالَّذِي تَظَاهَرَتْ بِهِ الرِّوَايَاتُ أَنَّهُ بَيْتُ الْمُقَدِّسِ، وَلَكِنْ فِي بَعْضِهَا أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ دُخُولِهِ إِلَيْهِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا مَرَّ بِهِمْ فِي مَنْازِلِهِمْ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْهُمْ جِبْرِيلَ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَهُوَ يُخْبِرُهُ بِهِمْ، وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلًا مَطْلُوبًا إِلَى الْجَنَابِ الْعُلَوِيِّ؛ لِيَفْرِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ، اجْتَمَعَ هُوَ وَإِخْوَانُهُ مِنَ النَّبِيِّينَ، ثُمَّ أَظْهَرَ شَرَفَهُ وَفَضْلَهُ عَلَيْهِمْ بِتَقْدِيمِهِ فِي الْإِمَامَةِ، وَذَلِكَ عَنْ إِشَارَةِ جِبْرِيلَ ﷺ لَهُ فِي ذَلِكَ.**

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ فَرَكِبَ الْبُرَاقَ وَعَادَ إِلَى مَكَّةَ بِغَلَسٍ، وَاللَّهُ ﷻ أَعْلَمُ. اهـ.

فاستظهر في «تفسيره» ﷺ: أنه أمّ بالأنبياء في بيت المقدس بعد المعراج به، والرواية السابقة: «قَرَبَتْهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ»، قال: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ «تدل أنه صلى في بيت المقدس قبل المعراج».

ويدل له أيضًا ما روى الإمام مسلم ﷺ (١٧٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحَجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ لَمْ أَتِبْتَهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرَبٌ، جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شُنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشَبَّهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ -يَعْنِي نَفْسَهُ- فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَّمْتُهُمْ» الحديث.

قال الحافظ في «فتح الباري» (٢٠٩/٧): وَالْأَظْهَرُ أَنَّ صَلَاتَهُ بِهِمْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ كَانَ قَبْلَ الْعُرُوجِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ عُرِجَ بِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ هُنَاكَ ^(٧) إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ^(٨)، ثُمَّ لَلَّتِي تَلِيهَا ^(٩)، ثُمَّ الثَّالِثَةَ ^(١٠)، ثُمَّ إِلَى الَّتِي تَلِيهَا ^(١١)، ثُمَّ الْخَامِسَةَ ^(١٢)، ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا ^(١٣)، ثُمَّ السَّابِعَةَ ^(١٤).

(٧) من هناك: المشار إليه بيت المقدس.

(٨) سميت بذلك؛ لأنها تلي الدنيا.

استفسار من إحدى الأخوات -وفقها الله-: لماذا أبونا آدم في السماء الدنيا، لماذا لا يكون أرفع؟

إليك الجواب وفقك الله: قال الحافظ في «فتح الباري» (٢١١/٧): قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: الْحِكْمَةُ فِي كَوْنِ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَوَّلُ الْأَبَاءِ، وَهُوَ أَصْلٌ، فَكَانَ أَوَّلًا فِي الْأَوَّلَى، وَلِأَجْلِ تَأْنِيسِ النَّبُوَّةِ بِالْأُبُوَّةِ، وَعِيسَى فِي الثَّانِيَةِ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ الْأَنْبِيَاءِ عَهْدًا مِنْ مُحَمَّدٍ، وَيَلِيهِ يُوسُفُ؛ لِأَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَتِهِ، وَإِدْرِيسُ فِي الرَّابِعَةِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧]، وَالرَّابِعَةُ مِنَ السَّبْعِ وَسَطٌ مُعْتَدِلٌ، وَهَارُونَ لِقُرْبِهِ مِنْ أَخِيهِ مُوسَى، وَمُوسَى أَرْفَعُ مِنْهُ لِفَضْلِ كَلَامِ اللَّهِ، وَإِبْرَاهِيمُ؛ لِأَنَّهُ الْأَبُّ الْأَخِيرُ، فَنَاسَبَ أَنْ يَتَجَدَّدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَلْقِيهِ أَنْسُ؛ لِتَوَجُّهِهِ بَعْدَهُ إِلَى عَالَمٍ آخَرَ، وَأَيْضًا فَمَنْزِلَةُ الْخَلِيلِ تَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ أَرْفَعَ الْمَنَازِلِ، وَمَنْزِلَةُ الْحَبِيبِ أَرْفَعُ مِنْ مَنْزِلَتِهِ؛ فَلِذَلِكَ ارْتَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ مَنْزِلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. اهـ.

وقوله: وَلِأَجْلِ تَأْنِيسِ النَّبُوَّةِ بِالْأُبُوَّةِ، أي: ليستأنس النبي ﷺ بلقاء أبيه آدم.

وفيه ترحيب الأنبياء بالنبي ﷺ، وهذا يُستفاد منه: الترحيب وإظهار الفرح عند اللقاء.

قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٢٠٥/٣): وقع الاختصار منها على لفظ مرحبا وحدها؛ لاقتضاء الحال لها؛ فإن الترحيب هو السعة، وكان قد أفضى إلى واسع الأماكن، ولم يطلق فيها سهلاً؛ لأن معناه (وطئت مكاناً سهلاً)، والنبى ﷺ محمولاً إلى السماء. اهـ.

فلم يذكر فيه سهلاً؛ لأنه ليس هناك أرض يطؤها؛ إذ النبى ﷺ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في العلو. (٩) وهي السماء الثانية، قال النبى ﷺ: (ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْحَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ).

وهذا فيه من الآداب: الاستئذان عند الدخول.

وفيه: أنه يسمي نفسه إذا دُقَّ، فإذا قيل له: من؟ يقول: فلان، بما يتضح، أما يأتي بكنية مشتركة، أو باسم لا يتميز به، أو يقول أنا فهذه فيه كراهة، كما ثبت عن جابر رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دِينٍ كَانَ عَلَى أَبِي فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: «مَنْ ذَا؟» فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: «أَنَا أَنَا» كَأَنَّهُ كَرِهَهُ رواه البخاري (٦٢٥٠)، ومسلم (٢١٥٥).

ونستفيد من قوله: (فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْحَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ) أن أم عيسى ويحيى بن زكريا أختان.

(١٠) وكان في الثالثة نبى الله يوسف.

(١١) وهي السماء الرابعة، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧]، قال بعض المفسرين: المراد رفعه الله إلى السماء الرابعة.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/١١٢): وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ هُوَ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ. وَأَمَّا مَا جَاءَ أَنَّهُ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَهَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِيهِ: (وَمِنْهُمْ إِدْرِيسُ فِي الثَّانِيَةِ) وَهَذَا مِنْ أَوْهَامِ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ.

وَقِيلَ: مَا أُعْطِيَهِ مِنْ شَرَفِ النُّبُوَّةِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الرُّفْعَةُ فِي الْآيَةِ مَعْنَوِيَّةً.

قال الشوكاني في «فتح القدير» تفسير سورة مريم (٣/٣٩٩): وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾، فَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وَقِيلَ: إِلَى السَّادِسَةِ، وَقِيلَ: إِلَى الثَّانِيَةِ. وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ وَفِيهِ: «وَمِنْهُمْ إِدْرِيسُ فِي الثَّانِيَةِ»، وَهُوَ غَلَطٌ مِنْ رِوَايَةِ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِرَفْعِهِ مَكَانًا عَلِيًّا، مَا أُعْطِيَهِ مِنْ شَرَفِ النُّبُوَّةِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ رُفِعَ إِلَى الْجَنَّةِ.

(١٢) وَفِيهَا نَبِيُّ اللَّهِ هَارُونَ.

(١٣) وَهِيَ السَّمَاءُ السَّادِسَةُ، وَفِيهَا نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى.

(١٤) وَفِيهَا نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

هَذَا مَا خُذَ مِنَ الْأَدْلَةِ مِنْ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ فِي بَيَانِ الْأَنْبِيَاءِ أَيْنَ يَسْكُنُونَ فِي الْعُلُوِّ؟

وَرَأَى عِنْدَهَا جِبْرِيلَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا ^(١٥)، وَقَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ^(١٦).

(١٥) النبي ﷺ رأى جبريل ﷺ في صورته التي خلق عليها مرتين كما في «صحيح مسلم» (١٧٧) عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَكِمًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثُ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَكِمًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ ^(١٣) [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ^(١٤) [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» الحديث.

وما عدا ذلك كان النبي ﷺ يرى جبريل ﷺ على صورة رجل، وفي كثير من الأحيان كان يأتي جبريل ﷺ على صورة الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي ﷺ. أخرج البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٤٥١) عن أسامة بن زيد أَنَّ جِبْرِيلَ ﷺ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَيُّمُ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُ جِبْرِيلَ.

وهذا يدل أن دحية ﷺ شبيه بجبريل، وكما روى مسلم (١٦٧) عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ،

وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي: نَفْسَهُ -، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عليه السلام، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا دَحِيَّةً.

(ضَرْبُ مَنْ الرَّجَالِ) صنف من الرجال.

(عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ) الثَّقَفِيُّ صَاحِبِي عليه السلام.

من يشبه إبراهيم؟ نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(دَحِيَّةٌ) قَالَ النُّوَيْ عليه السلام فِي «شرح صحيح مسلم» تَحْتَ رَقْمِ (١٦٨): (دَحِيَّةُ بْنُ خَلِيفَةَ) هُوَ بَفَتْحِ الدَّالِ وَكَسْرِهَا لُغْتَانِ مَشْهُورَتَانِ.

وَقَالَ عليه السلام فِي شرح حديث أم سلمة المتقدِّم: وَكَانَ النَّبِيُّ عليه السلام يَرَى جِبْرِيلَ عَلَى صُورَةِ دَحِيَّةٍ غَالِيًا، وَرَأَاهُ مَرَّتَيْنِ عَلَى صُورَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ. اهـ.

وَمَجِيءُ جِبْرِيلَ عليه السلام فِي صورة رجل فِيهِ شُبْهَةٌ لِلْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ كَانَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ فِي إِبَاحَةِ التَّمْثِيلِ، وَهَذَا غَلْطٌ وَمَنْكَرٌ، فَجِبْرِيلَ عليه السلام اللَّهُ عليه السلام هُوَ الَّذِي يُجْعَلُهُ عَلَى صورة رجل؛ مِنْ أَجْلِ مُؤَانَسَةِ النَّبِيِّ عليه السلام.

وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَدْلَةُ فِي تَحْرِيمِ التَّمْثِيلِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عليه السلام أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامٌ ضَلَالَةً، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُثْمَلِينَ» الْحَدِيثُ حَسَنٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّمْثِيلَ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ.

وروى أبو داود عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ: أَي حَكَتْ لَهُ فَعَلًا. فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنكر وقال: «مَا أَحَبُّ إِلَيَّ حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا» رواه أبو داود (٤٨٧٥).

(حَكَيْتُ إِنْسَانًا) فعلت مثل فعله، مثلاً: بعضهم يمشي مثل مشي فلان، أو يقلده في حركته. وهذا مما يعتبرها الإخوان المسلمون من وسائل الدعوة، وهو محرم، ويشتمل على محرمات كالكذب، وتشبه الرجال بالنساء والعكس.

فالتمثيل لا يجوز مثلاً: يمثل الصحابة، أو يمثل غزوة من الغزوات، أو يمثل في تمثيله الشيطان كيف يغوي العباد؟

لا نحتاج إلى هذا؛ الدعوة لا تُنصر بالمعصية، المعصية من أسباب الخذلان في السَّيْرِ. استفسار من إحدى الأخوات: عرفنا أن النبي ﷺ رأى جبريل على صورته التي خُلِقَ عليه عند أن أُسري به عند سدره المنتهى، كما في سورة النجم.

فأين كان جبريل عند أن رآه النبي ﷺ على صورته في المرة الثانية؟

الجواب: الحديث المشار إليه سبق أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمُرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» الحديث.

وقد وضح الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾ (٢٣)، أين كان النبي ﷺ، وقال: يَعْنِي: وَلَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ الَّذِي يَأْتِيهِ بِالرَّسَالَةِ عَنِ اللَّهِ ﷻ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا لَهُ سِتْمَاءُ جَنَاحٍ ﴿بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾ (٢٣) أَي: الْبَيِّنُ، وَهِيَ الرُّؤْيَةُ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ بِالْبَطْحَاءِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ٥ ذُو مِرْقٍ

فَأَسْتَوَى ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۖ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۖ ﴿١٠﴾ [النجم: ٥-١٠]، كما تقدّم تفسير ذلك وتقريره. والدليل أن المراد بذلك جبريل، ﷺ. والظاهر - والله أعلم - أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى.

وأما الثانية وهي المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۖ﴾ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۖ ﴿١٦﴾ [النجم: ١٣-١٦]، فتلك إنما ذكرت في سورة النجم، وقد نزلت بعد سورة الإسراء. اهـ.

ويشير إليه حديث جابر بن عبد الله، ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: ثُمَّ فَرَّ عَنِّي الْوَحْيُ فِتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي، سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ، قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجِئْتُ مِنْهُ، حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زُمَّلُونِي زُمَّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ۖ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ۖ ﴿٢﴾﴾ [المدر: ٢] إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَالرُّجْزَ﴾ [المدر: ٥] فَاهْجُرْ. رواه البخاري (٣٢٣٨).

(١٦) أي: الصلوات الخمس، وإلا قد كانت الصلاة مفروضة من قبل الصلوات الخمس، أما الصلوات الخمس ففرضت عليه ليلة الإسراء.

هذا، ودليل المعراج من أقوى الأدلة على إثبات علو الله ﷻ.

وقد كانت فرضت خمسون صلاة، ثم خُفِّفَ عن هذه الأمة إلى خمس صلوات، مع بقاء أجر خمسين صلاة، كل صلاة بعشر صلوات؛ ففي حديث أنس بن مالك: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَتَزَلَّتْ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ رَأَى رَبَّهُ ﷺ أَوْ لَا؟

عَلَى قَوْلَيْنِ: فَصَحَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَى رَبَّهُ.

وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: «رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ».

رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ازْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي ﷺ، وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ، قَالَ: فَتَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ازْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ.

وكان مما رأى النبي ﷺ ليلة عُرِجَ به عُقُوبَةُ أَصْحَابِ الْغَيْبَةِ الَّتِي يَسْتَلِدُّهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، كَمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤٨٧٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُسُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ».

تنبيه: يفيد والذي الشيخ مقبل بن هادي الوادعي عليه السلام: أن هناك رسالة في الإسراء والمعراج، تُنسب إلى عبدالله بن عباس عليه السلام، وأن هذا لم يثبت عن ابن عباس عليه السلام.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا أَنْكَرَتْ ذَلِكَ عَلَى قَائِلِهِ، وَقَالَتْ هِيَ وَابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّمَا رَأَى جِبْرِيلَ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ، أَنَّى أَرَاهُ؟!» وَفِي رِوَايَةٍ: «رَأَيْتُ نُورًا». فَهَذَا الْحَدِيثُ كَافٍ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ (١٧).

(١٧) هذه مسألة: هل رأى النبي ﷺ ربه ﷻ في ليلة الإسراء؟ ذكر الحافظ ابن كثير ﷺ تعالى أن في المسألة قولين.

وأنه أنكر ذلك عائشة وابن مسعود ﷺ.

أَمَّا حَدِيثُ عَائِشَةَ ﷺ فَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، تَقُولُ لِمَسْرُوقٍ: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ).

وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٣٢)، وَمُسْلِمٌ (١٧٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ زُرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ١ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١﴾ [النجم: ١٠]، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ حَدِيثَ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»، وَفِي رِوَايَةٍ «رَأَيْتَ نُورًا». (أَنَّى) اسْمٌ اسْتِفْهَامٌ لِلِاسْتِبْعَادِ، لَهَا نِظَائِرٌ مِثْلُ: {قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} (٣٠) [التوبة: ٣٠].

وَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْمِهِ أَخْبَرَهُمْ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى، فَاشْتَدَّ تَكْذِيبُهُمْ لَهُ وَأَذَاهُمْ وَاسْتَجْرَاؤُهُمْ عَلَيْهِ (١٨).

ثم قال: (فهذا الحديث كافٍ في هذه المسألة) أي: أن النبي ﷺ لم ير ربه. ولهذه المسألة إعادة إن شاء الله عند المؤلف نفسه في هذا الكتاب في الخصائص.

(١٨) وبعد هذه الكرامات رجع النبي ﷺ إلى مكة، وأخبر بأنه أُسْرِيَ به، فقابله قريش بالكذيب والاستهزاء كيف يذهب بيت المقدس ليلاً ويرجع في الصباح؟ ونسوق الحديث للفائدة:

روى الامام أحمد (٢٨١٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِي بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَطَعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكْذِبِي» فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَا مُسْتَهْزِئٍ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: «إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ» قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ؟» قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَلَمْ يَرِ أَنَّهُ يُكْذِبُهُ، خَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمُهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ». فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ حَتَّى قَالَ: فَانْتَفَضْتُ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدَّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ»، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ»، قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعِ يَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ، مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَرَأَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى التَّبَسَ

وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ أَيَّامَ الْمُوسِمِ ^(١٩) وَيَقُولُ: «مَنْ رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَيَمْنَعُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي؟! فَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي».

عَلَى بَعْضِ النَّعْتِ، قَالَ: «فَجِئْتُ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظَرُ حَتَّى وَضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقِيلٍ فَنَعْتُهُ، وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ»، قَالَ: «وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتُ لَمْ أَحْفَظْهُ» قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ.

وهذه كرامة ومعجزة عظيمة لهذا الرسول الكريم، لما عجز عن الوصف قُرب له بيت المقدس فجعل ينظر ويصف، ومع ذلك ازداد بعضهم -والعياذ بالله- تكذيباً للنبي ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ^(١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ^(١٥) [الحجر: ١٥، ١٤].

فالأمر قد تُعرف حقيقته وصدقه ولا يُنتفع به، وهذا من الخذلان. وقالوا: إنهم لا يصلون بيت المقدس إلا بزمان، والنبي ﷺ ذهب في الليل وفي الصباح وهو في مكة.

واشتد تكذيب كفار قريش له، وجعل رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل والوفود من يؤويه وينصره؛ حتى يبلغ رسالة ربه سبحانه.

(١٩) الموسم: هو الوقت الذي يجتمع فيه الحاج كل سنة، كأنه وسم بذلك الوسم كما في «النهاية».

هَذَا وَعَمُّهُ أَبُو هَبٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - وَرَأَاهُ يَقُولُ لِلنَّاسِ: لَا تَسْمَعُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ (٢٠).

(٢٠) هذا ثابت رواه الإمام أحمد (١٦٠٢٣) - وهو في «الصحيح المسند» للوالد الشيخ مقبل رحمته الله تعالى - عَنْ رِبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيَلِيِّ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا» وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ، يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا» إِلَّا أَنْ وَرَأَاهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِغٌ، كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو هَبٍ، قُلْتُ: إِنَّكَ كُنْتَ يَوْمِيذٍ صَغِيرًا، قَالَ: لَا وَاللَّهِ إِنِّي يَوْمِيذٍ لَا عَقْلُ).

(ذَا غَدِيرَتَيْنِ) أي: ظفيرتين. (وَرَأَاهُ رَجُلًا أَحْوَلَ) الذي يتبعه أبو هب، وكان أبو هب شديد العداوة والأذى للنبي ﷺ، كان يتبع النبي ﷺ ويرميه بالحجارة، حتى يدمي عرقوبيه.

وبنحو حديث ربيعة بن عباد رحمته الله جاء عن طارق بن عبد الله المحاربي وكلاهما في «الصحيح المسند» مما ليس في الصحيحين «للوالد الشيخ مقبل رحمته الله تعالى».

فَكَانَ أَحْيَاءُ الْعَرَبِ يَتَحَامَوْنَهُ ^(٢١) لَمَّا يَسْمَعُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَنْهُ: إِنَّهُ كَذَّابٌ، إِنَّهُ سَاحِرٌ، إِنَّهُ كَاهِنٌ، إِنَّهُ شَاعِرٌ، أَكَاذِبُ يَقْدِفُونَهُ بِهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، فَيُضْغِي إِلَيْهِمْ مَنْ لَا تَمَيِّزَ لَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ ^(٢٢).

(٢١) أي: يتجنبونه؛ لما يسمعون من قريش عنه: إنه كذاب، إنه ساحر، إنه كاهن، إنه شاعر، مجنون.

(٢٢) وقد روى مسلم (٨٦٨) عن ابن عباس: أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِذْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغَنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي.. الحديث.

(وَلَقَدْ بَلَغَنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ) يقصد ضِمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ﷺ أنه سمع قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، وكان كلام النبي ﷺ أبلغ من كلامهم وأفصح وأبلغ تأثيراً.

ضِمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ﷺ كان يسمع من هذه الدعايات، وهذا التنفير عن النبي ﷺ، وهكذا كل من يقدم من الوفود إلى مكة يسمع الشتم والسباب والتنفير.

وَأَمَّا الْأَلْبَاءُ (٢٣) إِذَا سَمِعُوا كَلَامَهُ وَتَفَهَّمُوهُ شَهِدُوا بِأَنَّ مَا يَقُولُهُ حَقٌّ وَأَنَّهُمْ مُفْتَرُونَ عَلَيْهِ، فَيُسَلِّمُونَ (٢٤).

(٢٣) أصحاب العقول السليمة.

(٢٤) يدخلون في الإسلام. قد يسمع الإنسان تنفيراً، وأكاذيب ويكون هذا سبباً لهدايته، فأسباب الهداية كثيرة يقول: آتي وأسمع وأنظر الحقيقة بنفسي، فإذا سمع دعوة الحق والدعوة الصحيحة يؤثر فيه ويسلم ويهتدي للحق.

حتى إن الوالد الشيخ مقبل رحمته الله تعالى كان يقول: (الكَلَامُ فِينَا دَعْوَةٌ إِلَى دَعْوَتِنَا). انتهينا من هذا الفصل -بفضل الله ومته- في الإسراء والمعراج، وعرض النبي ﷺ نفسه على القبائل، لما رجع من الإسراء والمعراج.

واستفدنا مسائل جَمَّة، منها:

أن الإسراء والمعراج كان في السنة العاشرة، وهذا الذي ذهب إليه ابن إسحاق وجماعة، ومنهم من قال: كان قبل الهجرة بسنة.

وكم بقي في مكة يدعو إلى الله؟ ثلاثة عشر عاماً.

واستفدنا: أن الإسراء والمعراج كان فيه تسليية للنبي ﷺ بعد ما حصل له من الأذى، وما حصل من موت عمه أبي طالب وزوجه خديجة رضي الله عنها، فكان هذا فيه تسليية للنبي ﷺ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وهذا من أعظم نعم الله عليه، ولهذا اختلفوا أين أفضل ليلة القدر أو ليلة الأسراء؛ لما له من المنزلة والفضيلة؟ فشيخ الإسلام رحمته الله فصل أن ليلة الإسراء في حق النبي ﷺ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أفضل، وفي حق الأمة ليلة القدر أفضل؛ فلهذا شرع لهم إحياء ليلة القدر بالعبادة دون ليلة الإسراء.

وأما الشهر الذي أسري فيه بالنبي ﷺ جاءت أقوال لا دليل عليها: أنه في ربيع الأول، وجاء أنه في ذي القعدة، وجاء أنه في سبعة وعشرين في رجب، وليس هناك دليل صحيح في ذلك، مع أنه لو علم بأن ليلة الإسراء كانت في سبعة وعشرون من رجب، لما كان فيه دليل على الاحتفال بتلك الليلة أو الاجتهاد في العبادة؛ لأن النبي ﷺ لم يفعل هذا، ولم يحث عليه، ولم يفعله الخلفاء الأربعة ولا سائر الصحابة والتابعون بإحسان، فدل هذا على أنه بدعة.

وهناك قول: أن ليلة الإسراء كانت أول جمعة في رجب، وهذا أيضًا قول باطل، وبنى المتشبهون بالبدع على هذا ما يسمونه بصلاة الرغائب، وهو إحياء تلك الليلة بالصلاة والعبادة، وما بُني على باطل فهو باطل، فهذا من البدع التي قال عنها النبي ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ».

والسكوت عن تعيين ليلة الإسراء في أي ليلة، وفي أي شهر؟ يدل على أننا لا نحتاج إلى تعيين الليلة والشهر؛ لأنه لو كان لنا فيه منفعة ومصلحة لبلغنا النبي ﷺ، النبي ﷺ يقول: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ وَيُنْذِرُهُمْ شَرٍّ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ» رواه الإمام مسلم (١٨٤٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

أن الإسراء كان بعد البعثة ولم يكن قبلها، هذا عليه الاتفاق، وما جاء أنه (قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ) فهذا غلط، وهم فيه شريك بن عبدالله بن نمر.